لكن الصغائر تُكفَّر بمجرد اجتناب الكبائر لقول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[1].

نعم، لكن من اجتناب الكبائر التوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن لم يتب فإنه ارتكب كبيرة، فعدم التوبة في ذاته كبيرة ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

هل هناك أمور تُلابس الكبائر فتصبح في حق فاعلها صغائر؟

قد يكون ذلك راجعاً إلى مستوى إيمان الإنسان وتأوُّله، فالإنسان الذي هو من أهل التقوى ومن أهل الورع إذا وقعت منه زلَّةٌ فإنها تُغتفر في مقابل ما قدَّم، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "زلَّاتُ العلماء أقذار وهم بحار، وإذا بلغ الماء قُلَّتَين لم يحمل الخَبَث"[3]، وقد قال الشاعر:

أجَاعِلَةً أمُّ الثَّوَيْرِ خِزَايَـةً عَلَيَّ ... فِـرَارِي أنْ لَـقِيـتُ بَـنِي عَـبْـــــسِ
لَقِيتُ أبَا عَـوْفٍ وَعَوْفاً وَمَالِكـاً ... وعَمْراً فَجَاشَتْ مِنْ لِـقَائِـهِمُ نَـفسِـي
لَقُونَا فَضَمُّوا جَانِبَيْنَا بِصَادِقٍ ... مِنَ الضَّربِ فِعلَ النَّارِ بِالحَطَبِ اليَبسِ
وَلَيسَ فِرَارُ اليَومِ عَاراً عَلَى الفَتَى ... إذَا عُـلِمَتْ مِنـهُ الشَّجَاعَـةُ بِالأمْـــسِ

فلذلك قد يُعذر الإنسان في بعض الأحيان.

وقد يقع ذلك بالتأوُّل، كما حصل لقُدامة بن مَضعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تأوَّل بشرب الخمر، ...وهكذا.

---

(١) سورة النساء ﴿الآية ٣١﴾.

(٢) سورة الحجرات.

(٣) انظر مفتاح دار السعادة (ص ٥٠٤).